

نفج الطيب من غصن الأندلس الرطيب

أولى ويسر من صلاح الأحوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء وسيد الأرسال والرضى عمن له من صحب وأنصار وآل فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان وتؤثر من اشتهر به بالملاحظة بلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان ولا خفاء أن أيام مولانا الجد المقدس الغني بالله تولاها الله تعالى برضوانه كانت غررا في وجوه الأيام ومواسم تجمع الطم والرم من الرؤساء الأعلام الآخذين بأعنة الكلام السابقين في حلبة النثار والنظام وأن الفقيه الرئيس المدرك الناظم النائر أبا عبد الله محمد بن يوسف ابن زمرك عفا الله تعالى عنه وحسبك بمن ارتضاه مولانا الجد C تعالى لكتابتة وصرفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحجابه وكان بذلك خليقا لما جمع من أدوات الكمال علما وتحقيقا وإدراكا ونبلا وفقها وأصولا وفروعا وأدبا وتحصيلا وبيانا وتفسيرا ونظما وترسيلا لما كان قد أخفت الأيام سنا صبحه وخابت وسائل نصحه وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أي زخر فقدوا ولا أي مطلق من تصريفاته الجميلة قيدوا مستبصرين بالجهل في دياجي غيهم معجبين بما ارتكبه من جياذ بغيهم جميعهم يلحظه بمقل دامية وألفاظ حامية يصاحبونه بأوجه خلت عن الوجاهة سيماها الحسد وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد .

(فخر على الألاءة لم يوسد ... كأن جبينه سيف صقيل) .

فيا الله من أشلاء هنالك ضائعة وأعلاق غير مصونة ووسائل مخفورة وأذمة قطعت أرحامها ولم يرع ذمامها وعاثت الأيدي الفاتكة حينئذ على بنيها وارتكبوها شنعاء في أهله وذويه